«الواقع واستشراف المستقبل في شعر عبد القادر الحسيني وترسله»

د. فيصل حسين طحيمر غوادرة
جامعة القدس المفتوحة / جنين

ثبت الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص (بالعربية)	115
الملخص (بالإنجليزية)	115
المقدمة	116
التمهيد: حياته وجهاده	116
أدب عبد القادر بين الواقع واستشراف المستقبل	118
أولاً: في شعر عبد القادر الحسيني	118
ثانياً: في ترسل عبد القادر الحسيني	131
الهوامش	135
المصادر والمراجع	135

الملخص

تناولت في هذا الموضوع حياة عبد القادر الحسيني وأدبه وجهاده، منذ ولادته في القدس نحو عام 1910م، إلى وفاته عام 1948م، وما حدث بين الولادة والوفاة، كانت مسيرة نضال وجهاد للشهيد انتهت بنيله الشهادة، فقد تحدثت عن الواقع الذي عاشه واستشرافه للمستقبل، من خلال ما سطره في شعره وترسله، وذلك تحت عنوانين: أولهما: في شعر عبد القادر الحسيني، وثانيهما: في ترسل عبد القادر الحسيني، وقد استعرضت الواقع المعاش فيهما، كما تناولت الرؤى الاستشرافية لمستقبل الجهاد عند الشاعر، ولمستقبل فلسطين من خلال العنوانين نفسيهما. وحرصت على ذكر شعره ورسائله ذات العلاقة بالموضوع، وقد أظهر البحث أن الشاعر قد سجل في أدبه الواقع الفلسطيني الذي عاشه تسجيلاً موضوعياً، وتحدث عن المراحل الحقيقية لحياته الجهادية، وما بثه في شعره وترسله من آلام وآمال، ومن حقائق وتطلعات حول القضية الفلسطينية، وواقع القدس ومستقبلها، وقد أثبتُّ على ذلك شواهد من شعره وترسله، بأسلوب أدبي تميز بالسهولة؛ لأن الشهيد عبد القادر الحسيني أراد أن يتلقى أدبه كل إنسان عربي ومسلم، ويفهم ما يقول ويرمي إليه، بأسلوب أدبي سهل وممتع.

tcartsbA

Addressed this issue in the life of Abdel Kader Husseini, Odba and battle, since his birth in Jerusalem around 1910 to his death in 1948, and what happened between birth and death, the march of struggle and jihad martyr to the richly finished the certificate, spoke of the reality lived and looking to the future, through Strh in his hair and send, under two headings: first: hair Abdel Kader Husseini, second: in sending Abdel Kader Husseini, has been reviewed by the reality, also addressed the forward-looking vision for the future of Jihad when the poet, and the future of Palestine through the headings themselves. , And has said his hair and his relevant, research has shown that the poet has been registered in the Odba Palestinian reality lived by the record objectively, and talked about the stages of his real jihadi and broadcast in his hair and sends the pain and hopes and realities and aspirations of the Palestinian issue and the reality of Jerusalem And its future, has proved that the hair evidence and file, easily distinguished literary style; that the martyr Abdul-Qader Al-Husseini wanted to receive Odba all Arab and Muslim people, and understand what it says is aimed, in a manner that starts easy and fun.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الإسلام والجهاد، محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وبعد:

جاء اليهود المغتصبون إلى فلسطين، ومنذ أن حلّوا بها والنكبات والمصائب والويلات تلاحق شعبها المنكوب، فظهر منهم المناضلون والمقاتلون والمجاهدون، وكان من أبرزهم لفترة ما قبل النكبة، الشهيد عبد القادر الحسيني، ذلك الشهيد الذي لقي ربه مجاهداً وشهيداً وهو ما زال في ريعان شبابه، ليسطر لنا من حياته نموذجاً فريداً للجهاد والتضحية.

ولربط القول بالعمل، فقد كان للشهيد شعر جاشت به شاعريته، وله رسائل خطها قلمه، وكان أدبه هذا ترجمة حقيقية عن واقعه المعاش، ونظراً لقلة شعره ورسائله، وللمكانة التي وصل إليها الشهيد بين المجاهدين على ثرى فلسطين؛ أحببت أن أعرِّف القارئ العزيز بأدب هذا الشاعر الشهيد، فكتبت عنه من زاوية « الواقع واستشراف المستقبل في شعر عبد القادر الحسيني وترسله » وهو عنوان هذا البحث، وقد تحدثت بعد التمهيد عن أدب الشاعر من خلال عنوانين، حمل الأول شعر الشاعر عبد القادر الحسيني، وحمل الثاني ترسل الشاعر عبد القادر الحسيني، ورغم قلة ما كتب هذا الشاعر الشهيد والأديب المترسل، إلا أن أدبه يحمل في طياته الكثير من المعاني؛ لأن الشهيد عندما كان يكتب شعراً، أو رسالة، فقد كان يسجل واقعاً يعيشه نضاله وجهاده بشكل يومي، فشعره وترسله حملا لنا واقع هذا الشهيد وحقيقته وحياته، وكان من خلال هذا الواقع ينظر إلى المستقبل بعين ملؤها الأمل بالنصر والتحرير لفلسطين، وكان يأمل أن يتحول مستقبل الجهاد فيها إلى جهاد منظم، يصاحبه الدعم العربي والإسلامي؛ حتى يندحر المحتل الغاصب، وتتحرر القدس وسائر فلسطين.

وقد كانت هذه النظرات تصدر عن إنسان مؤمن بدينه ووطنه وقضيته، ولأنه كان يحمل مشاعر صادقة نحو وطنه وشعبه، حقق الله له ما سعى من أجله؛ بأن كتب الله له الشهادة على ثرى فلسطين الطهور على أبواب القسطل في 8 نيسان/1948م.

ونظراً لندرة الدراسات التي تناولت أدبه شعراً وترسلاً – بل ربما عدمها– فقد جاء بحثي هذا، لعله يسد ثغرة كان يجب أن تسد منذ زمن، ولعله كذلك يفتح الباب نحو مزيد من الدراسات حول أدب هذا الشاعر المجاهد الشهيد.

التمهيد:

حياته وجهاده:

ولد «عبد القادر بن (موسى كاظم) بن سليم الحسيني في القدس عام 1910م (1، ص: 135)، وإن ذكر الزركلي بأن ولادته كانت عام 1908م (3، ص: 84). مع العلم أن تاريخ ولادته في جواز سفره هو عام 1907 (1، ص: 470). تربى في بيت عز وصلاح وتقوى، في بيت من أعرق البيوتات العربية وأقدمها، وقد كان والده موسى كاظم باشا شيخ مجاهدي فلسطين، حيث شغل عدة مناصب في الدولة العثمانية، توفيت أمه «رقية بنت مصطفى هلال الحسيني» بعد عام من ولادته، فكفلته جدته لأمه «نزهة الحسيني» وأشرفت السيدة «ثليجة» على تربيته، وكان لحبه لها يناديها بالوالدة (1، 135). تلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة الرشيدية بالقدس، ثم التحق بمدرسة المطران «بيشوب غوباط» الإنجليزية القائمة على جبل صهيون في القدس، وقد زاده جو هذه المدرسة التبشيرية الحقد على المستعمرين وكان يقول: لقد تعلمت في مدرسة صهيون، كيف أبغض الإنجليز، وبعد ثلاث

سنوات قضاها في هذه المدرسة، التحق بكلية (روضة المعارف الوطنية) ليتلقى تعليمه الثانوي في هذه المدرسة، وكانت هذه المدرسة تعتبر مصدر التوجيه الوطني الصحيح للناشئة العربية، وكانت هذه المدرسة التي أسسها الحاج أمين الحسيني سنة 1922م تهدف إلى تخريج الشباب المؤمن المجاهد، ولتقف ضد المدارس الحكومية البريطانية التبشيرية، وكان المجلس الإسلامي الأعلى هو الذي يتعهد هذه الكلية، وكان من مديريها: السادة: نديم الملاح، وخير الدين الزركلي وسامي السراج وغيرهم. (نفسه، ص: 138)

وبعد شهادة الثانوية العامة (المترك)، التحق عبد القادر بالجامعة الأمريكية ببيروت، التي فصلته بعد سنة من دخوله لها بحجة أنه وطني متطرف، رحل بعدها إلى القاهرة ليلتحق فيها بالجامعة الأمريكية قسم الكيمياء وذلك في العام الدراسي 1930/1929م وكان له نشاط طلابي ووطني كبير أثناء دراسته الجامعية، وعندما نودي ليستلم الشهادة عند تخرجه في عام 1932م - حيث نال شهادة البكالوريا في العلوم-، في الحفل السنوي التقليدي للخريجين، والذي شهده كبار الأساتذة والوزراء والعلماء والباشوات مع ألوف من الطلبة والطالبات وعلى رأسها رئيس الجامعة (شارلز واطسون). وبعد أن تسلم شهادته من رئيس الجامعة استأذن من الحضور بإلقاء كلمة فسمح له، فألقى كلمة بين فيها خطر هذه الجامعة التبشيرية، وبأنها بؤرة فساد مقنعة بالعلم، وندد بالسياسة الأمريكية، ثم مزق شهادته أمام الحفل الكبير، ورمى بنتفها أمام رئيس الجامعة وعمدائها قائلاً: هذه شهادتكم فخذوها فإني لفي غنى عنها، وإنه ليس مما يشرفني أن أحملها أو أن أنتسب إليها، أنا لست بحاجة إلى شهادة من معهدكم الاستعماري التبشيري. عندها قوبل خطابه بعاصفة من التصفيق الحاد، واضطربت الجامعة وقررت سحب الشهادة منه، واتصلت بالصحف للتعتيم على الخبر، ثم وجه عبد القادر رسالة مركزة إلى كل الصحف في القاهرة ليروي ما حدث (نفسه، 139-144) : ومن بين ما وضحه في الرسالة: يقول شارلز واطسون في كتابه «حروب صليبية مسيحية» في مصر»: إن للمسلمين طقساً دينياً هو أساس الإسلام، وهذا الطقس هو الحج، ويجب على كل مقتدر أن يؤديه، وهو عبارة عن الذهاب إلى الكعبة، حيث تقام طقوس دينية مخزية، وهذا المكان وكر لصوص، تؤتى به جميع أنواع المخازي الأخلاقية...». وعلى إثر ذلك اتصلت إدارة الجامعة بالإنجليز والأمريكان الذين طلبوا من الحكومة المصرية إخراجه من مصر، فرحل إلى فلسطين في تموز سنة 1932م.

شغل عبد القادر الحسيني بعد تخرجه عدة وظائف ومناصب، منها عمله محرراً في جريدة الجامعة الإسلامية بيافا، وفي سنة 1934 استلم وظيفة في إدارة تسوية الأراضي، وقد قبل بها من أجل العمل على وقف بيع الأراضي لليهود.

أما تاريخ عبد القادر النضالي فطويل ومتعدد، ولا يكاد القلم يلم بما قام به الشهيد، فمن المظاهرات، إلى إلقاء القنابل، إلى الاغتيالات، إلى نسف القطارات، إلى تكوين خلايا المجاهدين وتدريبهم، إلى الرحيل هنا وهناك، داخل الوطن وخارجه، من أجل جمع المال والسلاح، والحض على الجهاد في فلسطين، إلى كشف المؤامرات وما يحاك لشعب فلسطين. ومنذ اللحظة الأولى التي أعلن فيها الشرارة الثورية الأولى ليلة 1936/7/6، حتى استشهاده وهو يواصل الليل بالنهار، مجاهداً بطلاً، وقائداً شجاعاً. (نفسه، ص: 171)

وكان عبد القادر الحسيني قد قاد المجاهدين في ثورة 1936- 1939، وكانت تلحق بها فرق الفدائيين، وفرق التدمير والقناصة والمغاوير. (4، ص: 90)

أما معاملة عبد القادر الحسيني للمتطوعين العرب، فقد كان يعاملهم معاملة الضيوف، ويكرمهم،

ويمد لهم يد المساعدة؛ ليجاهدوا معه حسب الخطط المرسومة والمتفق عليها، وكان يرى أن أهل فلسطين أدرى من المتطوعين بالمواضع التي يجب أن تكون فيها قوات المجاهدين؛ ولذا عليهم أن يقبلوا بالأماكن التي يحددها لهم إخوتهم في قيادة الجهاد المقدس، الذي يتزعمه عبد القادر الحسيني. (2، ص: 420)

لقد جرح عبد القادر سنة 1937 ونقل إلى دمشق إلى العلاج، ثم قصد بغداد فدخل الكلية الحربية متعلماً ومتمرناً، وعمل مدة قصيرة في الجيش العراقي، وأقام 18 شهراً في الحجاز، وفي النهاية استشهد على أبواب القسطل ليلاً عندما كان يحاصرها، وعندما انتصر أتباعه في اليوم التالي، وتمكنوا من رفع العلم العربي في القسطل في الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم 8 نيسان 1948م. لم تكتمل فرحتهم؛ لأنهم وجدوا قائد الجهاد المقدس قد لبى نداء ربه شهيداً. (6، 426)، (3، 48)، (5، ص: 625).

أدب عبد القادر بين الواقع واستشراف المستقبل

أولاً: في شعر عبد القادر الحسيني:

قليل من يعرف أن الشهيد عبد القادر الحسيني كان أديباً أو شاعراً، ربما كان ذلك لقلة شعره، وقلة شعره قد تكون نتجت عن عدة أمور، منها أنه ليس لديه الوقت الكافي لنظم الشعر، فحياته كلها جهاد ونضال، وتنقل وسفر وارتحال. ومنها أنه ربما يكون له شعر أكثر من الذي بين أيدينا ولكنه ضاع لعدم تدوينه، أو لفقدانه بسبب وضعه الجهادي، ولكن رغم قلة ما وصل إلى أيدينا، فإنه يدلنا على أن الشهيد – رحمه الله – كان يملك مقدرة شاعرية، وشاعريته هذه امتزجت بسيل جارف من المشاعر الفياضة والمتنوعة، بسبب طبيعة الظروف التي يعيشها الشهيد، وتعيشها فلسطين، وما نتج عنها من الأوضاع الوطنية والجهادية والحربية ضد اليهود المحتلين الغاصبين لفلسطين عامة، ولقدسنا الشريف خاصة.

ونجد الشهيد ورغم ضيق وقته، وحالة الحرب والاستنفار المستمرة التي يحياها، فإننا نجده بين وقت وآخر يتحفنا بما تجود به قريحته وشاعريته، بقصيدة أو أكثر، على أننا نتلمس من خلال أشعاره تلون الأغراض الشعرية التي نظم فيها، وهو وإن كان في جل شعره يتحدث عن الجهاد ومقاومة الأعداء، إلا أننا نجد له في الغزل والمدح والرثاء والحنين والوصف.

والشهيد في شعره يتحدث عن واقع معاش له ولأسرته ولشعبه ولوطنه، وهو من خلال هذا الواقع نجده يستشرف بنظرات صائبة إلى المستقبل، ويحاول رسم الطريق لأبناء الجهاد على ثرى فلسطين الطاهر، وكأن شاعرنا يحاول أن يوصل رسالة للأجيال التي ستحمل راية الجهاد من بعده: بأن طريقكم صعب وطويل، ولكن عليكم أن تثبتوا وتقاتلوا بصبر وتضحية وأن يكون حمل السيف من جيل مجاهد إلى جيل آخر حتى تتحرر فلسطين. فمثلاً نجده في قصيدة «ناوليني السيف» (1، 441) يقول:

حدثيني عن بلادي حدثيني ... وأسمعيني خبراً لا تكتميني
خبريني كيف سادتها عداها ... حدثيني كيف داسوا في حماها
حدثيني عن ... بلادي حدثيني
حدثيني كيف خلّفْت رباها ... واصدقيني خبراً عما دهاها
مرتع الأسد وأجداث الجدود ... هل غدت موطئ أقدام اليهود
ناوليني السيف ... أمي ناوليني

كم سمعنا منك أوصاف الطرّاد ... وروينا عنك أخبار الجهاد
ما لغير المجد أمي قد رُبّينا ... قد رضعناه لبانا وروينا
ناوليني السيف ... أمي ناوليني
كيف ألتذّ بنومي أو رقادي ... وبلادي قد غدت نهب الأعادي
شبت النيران واجتاحت فؤادي ... مذ دعاني هاتف صوب بلادي
ناوليني السيف ... أمي ناوليني
هاتف المجدِ إلى الحرب دعاني ... ما عنى غيري ولكن قد عناني
إن لي زنداً شديداً كالجبال ... وأنا الآن جدير بالقتال
ناوليني السيف ... أمي ناوليني
ما خلقنا توأم الفرش الوثير ... ما خلقنا حشوة الثوب الحرير
قد خلقنا وعنينا بالمعالي ... والمعالي نهش أطراف العوالي
ناوليني السيف ... أمي ناوليني

وعندما نمعن النظر في هذه القصيدة الجهادية التي يوجه الشاعر فيها خطابه إلى أمه، - التي توفيت وهو صغير السن كما أشرنا- وقد أراد من الخطاب كل أم فلسطينية، وحدد الأم بالذات؛ لأن الأم هي نبع التربية والتوجيه، ومن تحت يديها تنشأ الأجيال المجاهدة، ولذلك، كأنه يقول: إن على كل أم فلسطينية أن تربي أبناءها على القتال والجهاد حاضراً ومستقبلاً، حتى تتحرر القدس وسائر الأرض الفلسطينية. ونجد الشاعر يملأ قصيدته بأفعال الأمر (حدثيني، أسمعيني، خبريني، ناوليني، اصدقيني...) مكرراً (حدثيني، وناوليني) عدة مرات في القصيدة، والتكرار كما بينه ابن الأثير بأنه «دلالة اللفظ على المعنى مردَّداً (7، ص: 157)، وكأن اللفظ عنده يقدم خدمة جليلة لأداء المعنى ولكن بصورة تكرارية، واختياره لصيغة الأمر، وهي طلب الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء والإلزام وصيغته افعل ولتفعل (9، ص: 42)، (8، ج2، 81)، تظهر بأن الشاعر قد ركز في هذه القصيدة على هذه الصيغة مثل كلمة (حدثيني)؛ لتدل على أنه يطلب الحديث من محدثه أن يحدثه عن الماضي والأجداد والتراث لهذه الأرض المقدسة حيث يقول:

حدثيني عن ... بلادي حدثيني
مرتع الأسد وأجداث الجدود ... هل غدت موطئ أقدام اليهود

وفيه دلالة عن الواقع الذي تعيشه القدس وفلسطين من خلال صيغة الأمر المقرونة بالسؤال فيقول:

خبريني كيف سادتها عداها ... حدثيني كيف داسوا في حماها

أما عن المستقبل الجهادي نجده يدعو إلى حمل السلاح إلى أن تتحرر فلسطين وعاصمتها القدس الشريف، وهذا يتضح من خلال قول الشاعر:

هاتف المجد إلى الحرب دعاني ... ما عنى غيري ولكن قد عناني

ومن اللازمة المكررة في القصيدة قوله:

ناوليني السيف ... أمي ناوليني

وتكرار هذه اللازمة خمس مرات فيه دلالة استشرافية مستمرة لمستقبل الوضع القائم في القدس

وفلسطين، بأنه لا طريق للتحرير أو الخلاص إلا بالسيف والجهاد والنضال؛ لأن المحتل لا يعرف غير لغة المقاومة والرصاص والقوة، وهذه اللازمة لها أهميتها ودلالتها، فقد بدأها بفعل الأمر وأنهاها به، والخطاب موجه إلى أمه الفلسطينية والتي تمثل كل أم فلسطينية حتى إنهاء الاحتلال، وفعل الأمر كذلك فيه دلالة القوة والمقاومة المستمرة، أما تحديده لنوع السلاح بالسيف ففيه ربط وتناص تاريخي مع سلاح المجاهدين الأوائل، وفي هذا تواصل وترابط مع جهاد الأجداد والفاتحين.

وأجد الشاعر يكثر من أسلوب النفي للجملة الفعلية باستخدام أداة النفي (ما)، و(ما) نافية ولها صدر الكلام، وقد تدخل على الأسماء والأفعال (10، ص: 430) ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر: ما لغير المجد أمي قد ربينا، ما عنى غيري، ما خلقنا توأم الفرش الوثير، ما خلقنا حشوة الثوب الحرير، فالشاعر في أسلوب النفي هنا، ينظر بعين الواقع المعاش إلى المستقبل، فهو ينفي أن تكون حياته لغير المجد والجهاد والعلا، وبأن غيره هو المقصود عندما دعا هاتف المجد للعلا والجهاد، والمجاهد يرفض النوم الهانئ على الفراش الوثير الناعم، لأن مكانه في أرض المعركة والقتال.

وقد أكثر الشاعر من استخدام أسلوب الاستفهام، وهذا الأسلوب له حضوره في هذه القصيدة، فالاستفهام هو «استخبار، والاستخبار طلب من المخاطب أن يخبرك» (13، ص: 108)؛ وهو أسلوب «يدمج المتلقي في النص، ولا يسمح له بالحياد، أو المراقبة فقط، بل إنه يشركه في تكوين المعنى» (12، ص: 136) وقد استخدم الشاعر أدوات الاستفهام: (كيف، ما، هل، كم)، وإن كان تركيز الشاعر على أداة الاستفهام (كيف) أكثر، فهو يسأل سؤال الحائر المتعجب: كيف استطاع اليهود المحتلين أن يسودوا على هذه البلاد ويدوسوا الأوطان؟، ثم يتساءل بطريقة الإنكار على نفسه، كيف له أن يلتذ بالنوم أو يستمتع بالسعادة ما دام المحتل موجوداً؟

بهذه المعاني السامية، والألفاظ المختارة، والأساليب المعبرة، سطر الشاعر قصيدته هذه والتي أبان فيها عن حقيقة مشاعره نحو وطنه.

ولنرتحل بعدها إلى قصيدة أخرى ابتدأ عنوانها بفعل أمر، يحمل دعوة الشاعر لابنته هيفاء أن تحفظ دموعها ولا تدعها تنسكب؛ لأن حياة الجهاد تتطلب الصبر على المعاناة، وتحمل الآلام في هذه الأرض المباركة، ونجده يقول في قصيدته هذه التي عنوانها: «صوني دموعك» (1، 442):

رقراق دمعك هز قلبي الباكي ... كفّي البكا نفسي تراق فداكِ
هيفاء لا تبكِ بحق أبُوتي ... هيفاء قد هدّ البكاء أباكَ
صوني دموعَك إنها من مُهجتي ... ذوب الفؤاد ذرفته ببكاكَ
إن عادني ترجاج صوتك باكياً ... أشفقت أن لا أحتيي لأراكِ
يا أم هيفاء اصبري وتجلّدي ... الله والوطن العزيز عناكِ
الناس تنعم بالرجال بعولة ... وغرقت بين دمائها وشقاكِ
ما بين آسية الجروح قضيته ... عيشا وبين طريدة لعداكِ
ما جئت بيتك غير منتجع شفا ... دامي الجوانب أو معللَ شاكي
لا تعلمين أميّت بدمائه ... أم فيه أنفاسٌ بهن رجاكِ
أسمى وأثوب دمع عينك سائلاً ... من كل جرح في دمائه باكي
قد نلت من شرف الجهاد مراتباً ... ما نالها رجل القتال الشاكي
أعلاك صبرك فوق كل جليلة ... وعلى النجوم يطول أفق سماكِ
سيري وربكِ لا يريد بنا أذى ... إلا ورب البيت منه حماكِ
سيري فقلبي يا وجيهة سائر ... أنى رحلتِ يطوفُ حولَ حماكِ
والله يعلم أن هجرتنا له ... والله يرعى ما حييتِ خطاكِ

نجد الشاعر في مطلع قصيدته هذه، تهتز لديه عاطفة الأبوة، وتجيش في قلبه مشاعر الرحمة والعطف، فهو أب كأي أب، وإن فرق الجهاد وقتال الأعداء بينه وبين أهله وذويه وأحبته، إلا أن ذلك لا يمنع أن تكون عنده مشاعر صادقة، وعاطفة رحيمة، فهي تصدر من قلب رجل مسلم مجاهد، سخر حياته للجهاد وطلب الشهادة. وبعد الأبيات الأربعة الأولى يبدأ عبد القادر الحسيني خطابه إلى زوجته الصابرة المرابطة، بأسلوب النداء الذي يحمل معاني التحبب والتعطف والتراحم، مستخدماً أداة النداء (يا) التي هي «أم حروف النداء، وبها غالب الخطاب القرآني» (11، ص: 249) فيقول:

يا أم هيفاء اصبري وتجلّدي الله والوطن العزيز عناكِ

فهو بعد البيت الرابع يحاول الشاعر أن يصبر زوجته ويواسيها مبيناً مدى المعاناة والآلام التي تلاقيها من فراق زوجها الذي في كثير من الأحيان لا تعلم أحي هو أم ميت:

لا تعلمين أميّت بدمائه أم فيه أنفاسٌ بهن رجاكِ

أم هو جريح أو طريد:

ما بين آسية الجروح قضيته عيشاً وبين طريدة لعداكِ

ثم نجده يسجل في قصيدته هذه – وخلال الأبيات الموجهة لزوجته- مرتبة الجهاد العالية التي نالها في ميادين الجهاد فيقول:

قد نلتُ من شرف الجهاد مراتباً ما نالها رجل القتال الشاكي

ثم يدعوها إلى الصبر:

أعلاك صبرك فوق كل جليلة وعلى النجوم يطول أفق سماك

ويطلب منها أن تستمر في درب الصبر والمرابطة داعياً الله – عز وجل- أن يحفظها:

سيري وربك لا يريد بنا أذى إلا ورب البيت منه حماك

ويختم قصيدته معلناً أن هجرته الجهادية هي لله وفي سبيل الله، ومن أجل الله، وأن ما يتعرض له في طريق الجهاد هو من أجل مرضاة الله – عز وجل-.

ويكاد أسلوب الأمر يسيطر على هذه القصيدة كذلك، ومثل ذلك: (كفي، اصبري، تجلدي، سيري) وحاول الشاعر الشهيد من خلاله أن يوازن بين مشاعر الخوف والأمل نحو أهل بيته، وتوصيته لهم بالتجلد بالصبر في مواجهة العدو وجهاده.

إن هذه القصيدة تمثل مسيرة أي أسرة فلسطينية مجاهدة، فالأب يتنقل من مكان إلى مكان، مرابطاً ومجاهداً، وأسرته في ترقب وتوجس دائمين، في انتظار ما سيحل برب الأسرة المجاهد، وكأن الشاعر الشهيد الحسيني أراد أن يبين لسائر الأسر الفلسطينية، بأنكم مجاهدون ومرابطون، وما عليكم إلا الصبر والتحمل حتى يحين موعد النصر، وطرد المحتل الغاصب، فبمثل هذه الرؤية الاستشرافية سطر الشاعر قصيدته هذه وسائر قصائده.

ثم يلجأ الشاعر إلى قصيدة شعرية أخرى تلبس ثوباً شعرياً مخالفاً لسائر قصائده، وهو أسلوب التجريد والحوار، والذي نلمحه في القصيدة التالية والتي بعنوان (بين فلسطين وفتاها): (1، 443)

فلسطين:

لون الزهور القاني شقائق النعمان
من حمرة الدماء تروى بها كالماء
من أنفس الأطياب
الطلّ من دموعي يذوب في الربيع
يجري على الورود كالدمع في الخدود
ندبا على الشباب
أبكي بنيّ الصيدا والبطل الشهيدا
أبكي وما من عار أبكي حماة الدار
أبكي ليوث الغاب

فتاها:

لا تحزني بلادي صبراً على العوادي
فالدهر فينا قلّب لا ينثني يقلّب
وجهين للنفاق
إن نابت النوائب أو عمّت المصائب
ألفيتنا الأماجد نعدو على الشدائد
بالبيض والرقاق
نحميك بالمرهوف والضرب بالسيوف
نشقّ هام العادي لا تحزني بلادي
لا تدمعي المآقي

فلسطين:

قد دنّسوا ربوعي فجدت بالدموع
إن تطلبوا رضائي فاسعوا إلى علائي
وطهروا أحضاني
بنيّ لا تهونوا أو للعدا تلينوا
أرضعتكم لباني أوهبتكم حناني
فاحموا حمي أوطاني

فتاها:

لبيك لن نهونا لبيك لن نلينا
لبيك بالنفوس بالغالي والنفيس
بالروح والضلوع
لا عشت يا بلادي إن عاشت الأعادي
ترتاد في ربوعك أقلّ من دموعك

فالشاعر يجعل الحوار بين فلسطين، بل كل فلسطين، أرضاً وشعباً ووطناً، وبين الطرف المقابل للحوار هو شخصية (فتاها) أي فتى فلسطين، وهذه الكلمة وإن عملت فيها الإضافة إلى الضمير التعريف، فإنها لا تنحصر بفتى معين، بل هي تعني كل فتى على ثرى فلسطين، ولا ينحصر ذلك

بزمن معين، بل الزمن فيها مفتوح حتى يزول الاحتلال.

وإذا ما حاولنا التأمل في واقع فلسطين في المقطع الأول من القصيدة الذي ينتهي عند: لا تدمعي المآقي في السطر الثامن عشر، نجد الشاعر يحاول أن يصور فلسطين بصورة الزهور والورود، والطل والربيع، يعيش فيها الرجال الصيد والأبطال، ولكن هذه الصورة المشرقة لا يلبث الشاعر حتى يلونها بالألوان الحمراء الممزوجة بالدماء والدموع على الجرحى والشهداء، إنها لوحة دامية باكية دامعة، هذه هي الصورة التي حاولت فلسطين أن تتقدم بها لفتاها الواعد لها بالنصر والتحرير، فلذلك يجيء رد الفتى سريعاً، حيث ينهاها عن الحزن، ويدعوها إلى الصبر مهما عمت المصائب؛ لأن رجال الجهاد الأماجد يصمدون أمام الشدائد، ويدافعون عن وطنهم بحد السيوف التي تشق هام المعتدي، هذه هي صورة فتى فلسطين في اللوحة الأولى في المقطع الأول، صورة الرجل المجاهد المقاوم، وهي تتلاءم مع الصورة الحزنية التي رسمتها فلسطين له، والأسلوب الذي بدأه فتى فلسطين بداية رده كان أسلوب النهي المتبوع بفعل المضارع، الذي يفيد المستقبل والاستمرار، وكأن الشاعر يعاهد فلسطين بأن يبقى وفياً لها، مدافعاً عنها، ما دام المحتل على أرضها، وفي ذلك رسالة لشعب فلسطين وللعالمين العربي والإسلامي، يستشرف الشهيد عبد القادر من خلالها ما سيحدث على أرض فلسطين من جهاد ورباط، كل ذلك بعين بصيرة، ورأي نافذ.

وفي المقطع الثاني والأخير تتحدث فلسطين لفتاها، عما يقوم به المحتل من تدنيس للأرض والمقدسات، واعتداء على الشعب والممتلكات، وتطلب من فتاها أن يسارع لرفع الضيم الذي لحق بها، وتطهيرها من دنس المحتل، والسعي لرفعة مكانتها وعلو منزلتها، فهي الأرض المباركة التي أرضعتهم وربتهم ووهبتهم حنانها، فيرد فتاها عليها بنبرة الواثق بنصر الله، وعزيمته الصادقة، فيقول لها:

لبيك لن نـهـونا　　لـبيـك لن نليـنا

وجاء الشاعر بكلمة لبيك، وهي كلمة تتناسب في المعنى والدلالة، والموضع، في مكان القصيدة، وهي تعني أن تلبية النداء لفلسطين سيكون سريعاً ودائماً وفي كل زمان ومكان معلناً:

لا عشت يا بلادي　　إن عاشت الأعادي
ترتاد في ربوعك　　أقـلّ من دموعـك

وفي الرد الحواري الأول عن (فتاها) «لا تحزني بلادي» يتناوب الخطاب بين النهي، وبين الشرط كما في قوله «إن نابت النوائب ... ألفيتنا»، وهذا التناوب فيه اتساق في دلالة الألفاظ (بين لا تحزني، والنوائب)، وما جاء بعدهما من دعوة للصبر، والتعهد بالحماية بالسيوف وجهاد الأعادي. وكذلك الأمر في الرد الحواري الثاني من (فلسطين) جاء الشرط «إن تطلبوا رضائي...» والنهي «لا تهونوا»، وفيهما تناسق دلالي حيث طلب الرضا يحتاج إلى سعي نحو العلا، وعدم التهاون يحتاج إلى الصمود في وجه العدا، ويلتقي كلاهما في أن الجهاد والصمود هو سعي للعلا وفيه إرضاء لفلسطين أرضاً ووطناً وشعباً.

وفي قصيدته (الطود الأشم) يقول: (1، ص: 444)

ما أفتر الخطب الجلل　　عـزمي ولا همي ثلم
سود الوقـائع ألفتـي　　عـوّدتها بعـد النعـم
ما كـنت أجهـل مرّها　　حتى يعـاودني النـدم
إني الصبور على البلى　　وكأنني الطود الأشم

هوج الرياح تحطمت والطود ثابت لم يضم
تزداد نفسي منعة ما حلّ خطب وادلهم
يبلى الجديدان ولا تبلى العزائم والهمم

نجد الشاعر الشهيد في هذه القصيدة يظهر عزمه وإصراره على الاستمرار في المقاومة والجهاد، حاضراً ومستقبلاً، وبأن المصائب والصعاب مهما عظمت ستجده ثابتاً بعزم لا يلين، فلذا يقول:

ما أفتر الخطب الجلل عزمي ولا همي ثلم

ويصور صبر نفسه على المصائب والشدائد كالجبل الأشم، الذي يصمد أمام عاتيات الدهر، فمهما تعاظمت هوج الرياح فلن تنال منه.

بل نجده يقرر بأن نفسه تزداد متعة وقوة كلما حل به خطب كقوله:

تزداد نفسي متعة ما حل خطب وادلهم

وعزمه هذا وقوته وهمته العالية ستستمر أبد الدهر حتى ولو زال الليل والنهار سيبقى على ثباته وعزمه وإصراره في مقاومة المحتل والقضاء عليه حيث يقول:

يبلى الجديدان ولا تبلى العزائم والهمم

لقد استخدم الشاعر في هذه القصيدة الأسلوب الخبري، وهو يعد «الجانب الوصفي أو التقريري من وظيفة اللغة» (9، 30)، وأسلوب الخبر في هذه القصيدة وإن تنوعت المعاني التي خرج إليها الخبر، إلا أنها في مجملها تشير إلى حقيقة أراد الشاعر إقرارها في نفس الشعب الفلسطيني وواقعه، حاضره ومستقبله، وهي أن اليهود بجبروتهم وطغيانهم، ومهما عظم خطبهم، سيواجهون طوداً أشماً، راسخاً كالجبال، لا تؤثر فيه سود الوقائع، ولا هوج الرياح، بل سيبقى أبد الدهر شعاره:

يبلى الجديدان ولا تبلى العزائم والهمم

بهذا النفَس القتالي، وبهذه الروح الجهادية، يسطر لنا الشاعر المجاهد عبد القادر الحسيني هذه القصائد الجهادية؛ لتكون مثل هذه الأشعار وقوداً يساعد في استمرار اشتعال جذوة الجهاد والقتال حتى إنهاء المحتل، وطرده من ثرى فلسطين المبارك.

ولا ينسى الشاعر أبناءه من وصية تعد من الوصايا الخالدة؛ لكرم المعاني التي احتوت عليها، ولصدق المشاعر التي اشتملت عليها؛ ولأنها تصلح لسائر أبناء فلسطين والعالم العربي والإسلامي، بل سائر أبناء البشرية، فالشاعر أجده قد وفق في اختيار معجمه اللفظي لهذه القصيدة، وفي اختيار المعاني التي تتناسب مع ما اختاره من ألفاظ دالة ومعبرة، وقصيدته هذه عنوانها (نصيحة والد) والتي جاء فيها: (1، 444)

بنيّ خذوا مني نصيحة والد عركتُ نواحي الدهرَ والدهرُ قّلبُ
كما الدهر عبد للجلود فإنه وإن جمع الويلات بالحزم يغلب
لئيم إذا جسّ الطباع ضعيفه كريم إذا يلقاه ناب ومخلب
سلاح الفتى طيب الخصال وعزه عفاف وبأس في الشدائد يرهب
وخير سلاح للمصائب سمعة تفوح جليل الذكر أيان يذهب
بنيّ كرام الناس بالشرّ تنقد مآثرها تنسى ويذهب مثلب
بني أقلوا ما استطعتم عثاركم فرب عثار للمكارم يسلب
أقيلوا كرام الناس من عثراتهم فذاك إلى خطب المودة أقرب
ولا ترجعوا صفر اليدين مؤملا صنيع الفتى يبقى إذا المال ينضب

يبدأ الشاعر قصيدته باستخدام أسلوب النداء المحذوف أداته، وقال «بني» ولم يقل أبنائي، لأن اللفظة الأولى تحمل معاني التحبب والتقرب والتودد، وفيها مدلولات نفسية تعبر عن صدق المشاعر أكثر من كلمة «أبنائي»، ونجد الشاعر يكرر هذه المفردة عدة مرات في أثناء القصيدة، دليل أهميتها عنده ككلمة ذات مبنى، وذات معنى ومغزى، فهو الأب الرحيم الودود، الذي زاده الجهاد والبعد عن أهله حنيناً لأبنائه وشوقاً لأهله، كما علمته الحياة وما تعرض إليه، المزيد من التجارب؛ ولذا نجده يقدم خلاصة تجاربه، وعصارة فكره لأبنائه فيقول:

بنيّ خذوا مني نصيحة والد عركت نواحي الدهر والدهر قّلبُ

ويبين لهم أن الدهر لئيم مع الضعاف، كريم مع الأقوياء فيقول:

لئيم إذا جسّ الطباع ضعيفه كريم إذا يلقاه ناب ومخلب

ثم يبين لبنيه أهم الخصال التي عليهم أن يتحلوا بها، والتي منها: العفاف والبأس عند الشدة، والسمعة الطيبة، وغيرها حيث يعد أن هذه الأخلاق هي خير سلاح للفتى في مواجهة الصعاب والحياة، فيقول:

سلاح الفتى طيب الخصال وعزه عفاف وبأس في الشدائد يرهب
وخير سلاح للمصائب سمعة تفوح جليل الذكر أيان يذهب

ويطلب بعد ذلك من بنيه أن يبتعدوا عن صغائر الأمور والتي تقلل من قيمتهم ومكانتهم، وأن يعمدوا إلى مساعدة الآخرين، وتقديم العون لمن تعثر من كرام الناس، حيث يقول:

بني أقلوا ما استطعتم عثاركم فرب عثار للمكارم يسلب
أقيلوا كرام الناس من عثراتهم فذاك إلى خطب المودة أقرب

نجد الشاعر في قصيدته الأخلاقية هذه، أنه يريد أن يبين لسرايا المجاهدين، بأن قتال الأعداء وحده لا يكفي إذا لم يصاحبه خلق كريم، يسري بين الناس بأسلوب واع، وبطريقة مدروسة، وأنه لا خير في جهاد لا خلق يصاحبه، كما أراد أن يظهر أننا أبناء شعب إسلامّي مبارك نحرص كل الحرص على أن نتحلى بأكرم الأخلاق وأفضلها، وهذا نابع من أصالتنا وعراقتنا في هذه الأرض المباركة، وكما قصد الشاعر من قصيدته هذه أيضاً، أن يرسل رسالة للآباء قبل الأبناء، كيف عليهم أن يربوا أولادهم؟ وما هي الأخلاق التي يحتاجونها في مواجهة المحتل؟ وأن هذه الأخلاق هي السلاح المرافق لسلاح المقاومة، ما دام هناك محتل يتنفس على أرض فلسطين، أرض الرباط والجهاد. وأن الله لن ينصر قوماً تخلو عن أخلاقهم ودينهم.

وللشاعر دور في النشيد، وليس أي نشيد، فهو «نشيد العلى» حيث يقول في نشيده هذا: (1، 445)

نحن في العلا دوننا الملا
ما لغيرنا المجد قد حلا
من سيوفنا تقطر الدما
من أكفّنا الجود والندى

اللازمة

وسّعوا الخطى وامتطوا العلا
وارفعوا على أوجها سما

اللازمة

خيـرة البـلاد مهبط الرشاد
أرض يعـرب جنّـة العبـاد
اللازمة
سهلها الجميل وعرها الجليل
ماؤها الفـرات بلسـم العليـل
اللازمة
نحـن نـبتـهـا نحن جنـدها
في لظى الوغى نحـن أسدها
اللازمة
اخـطأ الـهـدى بـادئ العـدا
جـاء مـوردا منهـل الـردى
اللازمة
دأبنـا السـلام ما بدا السـلام
أو عدا غشـوم حدّه الحسـام
اللازمة
بأسنا حـديـد مجدنا عـتيـد
نـحـن أمـة للعـلا نشـيـد
اللازمة

في هذا النشيد يحاول الشاعر أن يتحدث عن مجموعة من الأفكار، كلها تنطلق من مفهوم الجهاد والقتال، والمحافظة على الأرض والوطن، وقد قسم الشاعر نشيده إلى ثماني مجموعات (مقطوعات) شعرية، وإن اختلفت في موسيقا القافية، إلا أنها تتوحد أمام الهدف العام للأفكار التي انطلقت منها كما ذكرت.

وقد حاول الشاعر في نشيده هذا أن يستخدم ضمير جمع المتكلم المنفصل (نحن) والمتصل (نا)، ليدل على أن المسؤولية عامة وشاملة لكل أبناء فلسطين تجاه العدو الغاصب، وجاء الضمير (نحن) في البيت الأول من المجموعة الأولى:

نحن في العـلا دوننا المـلا

ثم تكرر في البيت الأول والثاني من المجموعة الخامسة:

نحـن نـبتـهـا نحن جنـدها
في لظى الوغى نحـن أسدها

ثم جاء في البيت الأخير من المجموعة الثامنة (الأخيرة):

نـحـن أمـة للعـلا نشـيـد

وهذا الضمير المنفصل (نحن) تعانق تكراره مع تكرار مشابه له، وهو الضمير المتصل (نا)، الذي انتشر في المجموعة الأولى والخامسة والأخيرة، وهي نفس المجموعات التي انتشر فيها الضمير المنفصل (نحن)، وهذا يدل على الوعد والعهد بالدفاع عن فلسطين ورد كيد الأعادي، وكأن في هذين الضميرين حديث النفس مع النفس، بأن الالتزام بالتحرير ودحر المعتدي لازم ديني ووطني وعهد

نفسي، يتعهد بذلك كل أبناء فلسطين، عهداً قاطعاً لا تراجع عنه.

ويلجأ الشاعر الشهيد إلى قضية بلاغية وهي ما يسمى (بظاهرة الالتفات) والالتفات هو «العدول عن كلام إلى غيره، أو هو الخروج عن كلام منتظم إلى غيره» (12، 152)، وأجده في المجموعة الأولى تحدث عن ضمير الجمع المتكلم المنفصل والمتصل، وفي الثانية تحدث على ضمير الجمع المخاطب المتصل، وفي الثالثة عن الضمير المستتر للمفردة الغائبة، وفي الرابعة تحدث عن ضمير الغائبة المفردة المؤنثة المتصل، وفي الخامسة كما في الأولى، وفي السادسة تحدث عن ضمير المفرد الغائب المذكر، وفي السابعة بدأها بضمير الجمع المتكلم المتصل، ثم ضمير المفرد الغائب المذكر، وفي الثامنة كما في الأولى.

إن هذا التلون في الخطاب يدل على قضية بلاغية ودلالية لها أهميتها عند الشاعر، فهو الشاعر المجاهد الذي يعيش في وضع نفسي جهادي خاص، يترقب استشهاده، ويبحث عن عدوه، ويفكر بجنوده والمجاهدين أتباعه، كل ذلك لا بد أن يؤثر على الوضع النفسي للشاعر وعلى نمط الخطاب في القصيدة، وفي تنوع الخطاب هنا تشويق لنفس المتلقي؛ لأنها تخرجه من الرتابة والملل إلى النشاط والترقب، خاصة وأن القصيدة هي نشيد يسهل تلحينها والتغني بها.

في المقطوعة الأولى والثانية يدعو الشاعر فيهما إلى العلا والمجد والعمل من أجلهما، والحرص عليهما، وهما لا يأتيان بسهولة، بل من خلال السيوف التي تقطر من دماء الأعداء، وفي المقطوعة الثالثة والرابعة نجد الشاعر يتحدث عن أرض فلسطين، حيث سهلها الجميل، ووعرها الجليل، وماؤها الفرات العذب الذي يشفي العليل، ثم يقرر أن هذه الأرض الطيبة المباركة تحتاج إلى من يدافع عنها ويحميها، ولذا فالشاعر وصحبه من المجاهدين، هم أسدها المقاومون والمدافعون عنها.

ويختم الشهيد أنشودته ليقرر بأن بأس أبنائها شديد وحديد، ومجدها عتيد دائم؛ لأن العدا إذا ما حاولوا الاقتراب منها، سيقاومون بحد الحسام.

هذه هي كلمات النشيد عند عبد القادر الحسيني، كلمات تنطق حرباً وقوة وشجاعة مستمرة في مقاومة المحتل إلى أن يندحر ويزول.

أما في قصيدته التالية والتي عنونت (صلابة الأقدام) فيقول: (1، 446)

أنا لا أرهب الحدثان إني ... فتى أمضى من الحدثان حدا
لقد أعددت للحدثان سيفاً ... ولم أجعل لهذا السيف غمدا
وإن أبدت لي الأيام عندا ... تراني للجلاد أشدَّ عندا
تريني مخلبا وتريني نابا ... فتلقى معلما وأشد زندا
ولي من قوة الإيمان عزم ... أقاتل فيه دون الخلق فردا
ولم أستجد من دهري حظوظا ... ولم أطلب بغير الجهد سعدا

يقرر الشاعر في قصيدته هذه مجموعة من الثوابت الجهادية، والتي ستستمر ما دام هناك محتل على أرض فلسطين، ومن هذه الثوابت التي ذكرها الشاعر: عدم الخوف من العدو، والإعداد الجيد للجهاد، والاستمرار في التأهب، والصبر عند المواجهة، والتحلي بالإيمان عند الجهاد، وقيمة الإنسان بما يقدم من جهد، وهذه الثوابت التي تحدث عنها الشاعر، لا يعني بها نفسه وحدها، بل سائر أبناء فلسطين؛ لأنه هو قائدهم وقدوتهم، فهو شجاع لا يرهب تقلبات الدنيا، ولا يخاف من الأعداء؛ لأنه أقوى منهم؛ ولأنه أعد سيفاً قوياً بلا غمد للمواجهة، وقوله «ولم أجعل لهذا السيف غمداً» كناية أن هذا السيف هو في حالة إشهار دائم في وجه العدو، ولا مجال لأن يوضع في غمده، لأن العدو والعدوان

والاحتلال قائم، ولذا فالجهاد سيبقى قائماً ما دام الاحتلال قائماً.

بعد ذلك يقرر الشاعر المجاهد الشهيد، أنه يستمد قوته وجهاده وعنفوانه ومجده في مقارعة الأعداء المحتلين من قوة إيمانه فيقول:

ولي من قوة الأيمان عزم أقاتل فيه دون الخلق فردا

فبقوة الايمان يواجه مخالب الأعداء وأنيابهم ويكسرها ويتغلب عليها.

وقد جاءت هذه القصيدة بأسلوب إخباري تقريري، وقد حملها أساليب من النهي والنفي، مؤكداً من خلالهما على شجاعته وإقدامه وصلابته، وذلك كما ورد في أول بيتين وآخر بيتين من القصيدة.

ويجيش صدره بالحنان مرة أخرى، وتجتاح قلبه نسمات الحنين لفراخه الزغب، حيث هو مشغول بالدفاع عن فلسطين، وثرى القدس الطهور، فنجده في قصيدته (حنين) يسطر أنبل المشاعر وأصدقها، فيقول: (1، 446)

نسيم الغربِ أشجاني وأجرى دمع تحناني
وذكّرني ربوعَ القدسِ أوطاني وخلاني
وأياماً غدت حلماً بأفراحٍ وأحزانِ
تراءت خلف رقراق همىً من بينَ أجفاني
دموع الشوق أجريها وفي الهيجا دمي القاني
وما بي غربة شقّت فأرض العُرْب أوطاني
ولي في القدس أترابٌ وفي بغداد إخواني
ولي في القدس أكبادٌ فدا الأكباد إنساني
فراخي الزغب كم حنّت إليهم نفس ولهان...
فكم قبّلت من شوق رسوما فوق كتان
لعل الرسم يغنيني فزاد الرسم نيراني
همُ الأولاد أكباد غدوا والروح سيان
هم ترداد أجيال غدت طيّاً لنسيان
وخلد قد بدا حلما تراه عين يغظان
هم أقباس أنوار خبت من جور أزمان

رغم أن القصيدة سجل فيها الشاعر مشاعر فياضة من الحنين لأهله وأبنائه، إلا أننا نجد الشاعر لا ينسى فلسطين، ولا ينسى القدس، ولا بغداد، ولا سائر البلاد العربية، فكل بلاد العرب أوطان للعربي، والقدس جزء منها، وهنا يتحدث الشاعر عن مفهوم أوسع للقدس، وذلك بأن القدس ليست لأبناء القدس، أو لأبناء فلسطين وحدهم، بل هي لسائر العرب والمسلمين، وذلك من قوله:

وما بي غربة شقّـت فأرض العُرْب أوطاني
ولي في القدس أترابٌ وفي بغـداد إخـواني

وهنا يومئ الشاعر إلى المسؤولية الكبرى التي تقع على عاتق العرب والمسلمين نحو القدس وتحريرها.

وبعد أن يتحدث عن القدس وفلسطين ومكانتها بالنسبة لشعب فلسطين وسائر البلاد العربية، يتحدث عن حنينه وشوقه لفراخه الزغب، وإن مزج الشاعر الشهيد حديثه عن حنينه لأطفاله وحبه

وشوقه إليهم بحديثه عن القدس، فإن فيه دلالة على عمق المشاعر عند الشاعر نحو القدس، فقد جعلها الشاعر بمقام أبنائه وأسرته، وأنها المنطلق نحو كل شيء في حياته.

لقد شبه الشاعر أطفاله الصغار كفراخ الطير الزغب الصغار، يحن إليهم، ويشتاق إلى تقبيلهم، وإن كان أحياناً يقبل صوراً لهم يحتفظ بها في مسيرته الجهادية، لكن هذا الرسم يزيد من نيران شوقه وحنينه لرؤيتهم؛ ولذا يقول:

فكم قبّلت من شوق رسوماً فوق كتان
لعل الرسم يغنيني فزاد الرسم نيراني

وفي حنينه هذا وتذكره لأبنائه، دليل على الآلام التي كان يعاني منها المجاهد عبد القادر الحسيني، فهو رغم شدة القتال، وضراوة المواجهة للمحتل، إلا أنه يتذكر فلذات الأكباد، الأطفال الصغار وهم أقباس الأنوار، التي ستحمل راية الجهاد جيلاً بعد جيل حتى يزول الاحتلال إلى حيث لا رجعه. وكأن الشاعر في هذه الأبيات يريد من المجاهدين، ومن أبناء فلسطين أن يهتموا بأبنائهم وحسن تربيتهم؛ لأنهم هم حملة مشاعل الجهاد للأجيال القادمة بإذن الله.

ونجد في في القصيدة تنوعاً في الخطاب والموضوع والأسلوب: فنجد التنوع في الخطاب يؤكد على ظاهرة الالتفات البلاغية في هذه القصيدة بشكل لافت، وتبدو خارطة الالتفات كما وردت مرتبة حسب ترتيب القصيدة كما يلي:

(هو) – (أنا) – (هي) – (هي، أنا) – (هي، أنا) – (أنا، هي، أنا) – (هم، أنا) – (أنا، هي، هم، هو) – (هي) – (هو، أنا) – (هم) – (هم) – (هو، هي) – (هم، هي).

وهذا التنوع في الخطاب نتج عن التنوع في الموضوع، فالشاعر تحدث عن النسيم والحنان، ثم عن القدس والأوطان، وهموم الجهاد، ثم دموع الشوق المصاحب للدم القاني في الهيجاء، ثم دور الأبناء في بناء أجيال الجهاد في المستقبل. ويأتي التنوع الآخر في الأسلوب حيث راوح الشاعر بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي، كل ذلك ليعمل هذا التنوع بأشكاله المختلفة من هذه القصيدة الشعرية نموذجاً من التلاحم بين الدلالة والمعنى، وبين الخطاب والموضوع والأسلوب. وثمة ملحوظة أخرى حول هذه القصيدة، وهي استخدام الشاعر لأسلوب التكرار، كما في البيتين السابع والثامن حيث قال:

ولي في القدس أترابٌ وفي بغداد إخواني
ولي في القدس أكبادٌ فدا الأكباد إنساني

وفي هذا التكرار دلالة على أهمية القدس، في وجدانه ووجدان كل عربي، فلئن كان في القدس أهله وأترابه، ففي بغداد وسائر البلاد العربية إخوته. وأجد الشاعر الشهيد في قصيدته هذه وسائر قصائده يركز على التكرار، ولعله في ذلك يكون قد أفاد من التكرار في الأغاني الشعبية كما يقول مناصرة: «حيث استفاد الشعر العربي الحديث من خاصية التكرار الإيقاعي في الأغاني الشعبية» (15، 440).

وبقي للشهيد ثلاث قصائد، الأولى في وصف رحلة قطار حيث يقول في مطلعها: (1، 447)

ركبت قطاراً سار بنا إلى بغداد وقد بعدت

والثانية في مدح رشيد عالي الكيلاني حيث يقول فيها: (نفسه)

رشيد العروبة عالي الهمم سموت بقومك فوق الأمم
فذكراك في كل قلب غدا يثير النفوس ويحيي الهمم
فأنت الرشيد مهاب الجناب وأنت الكريم سليل الكرم

يحُييك أسد العراق ومن وراء العراق وخلف الهرم
رعاك الإله ليوم أغرٍّ ليوم العروبة يوم الشمم
ليوم تدفق فيه الدما تهون النفوس فداء العلم
ليوم السيوف ويوم القنا ليوم تبدد فيه الظلم
رعاك الإله وهان عداك وعشنا نفاخر فيك الأمم

والشاعر في هذه القصيدة يمدح القائد الثائر ضد الاستعمار «رشيد الكيلاني»، وهو إن يمدحه كأنه يمدح العراق، والشاعر الشهيد بمدحه هذا يذكر بقوة وشجاعة أهل العراق، داعياً الله أن يحفظه ويرعى العراق؛ من أجل يوم يعملون على إعزاز العروبة والإسلام، ويزال فيه الظلم والظالم فنراه يقول:

رعاك الإله ليوم أغرٍّ ليوم العروبة يوم الشمم

ويقول:

ليوم السيوف ويوم القنا ليوم تبدد فيه الظلم

والقصيدة الثالثة يمدح فيها الملك عبد العزيز آل سعود إذ يقول في مقدمتها: (نفسه، 447-448)

المجد مِنْ عادٍ بدا والسعد في آل السعودِ
إرثٌ توارثه البنون عن الخضارمة الجدودِ
فغدوا كأنهم الثواقب زينّت برج الخلودِ
وهم الملاذ لمن يضيق بوجههم رحب الوجودِ
لا يخفرون ولا تنال جوارهم عثر الجدودِ

وهذه القصيدة تعد من أطول قصائده إذ بلغت (38) بيتاً. حاول فيها الشاعر الشهيد أن يستنهض زعماء العرب وشعوبهم من خلال هذه القصيدة؛ لأنه أراد أن يبعث فيهم النخوة والعزة، والتحرك من أجل الجهاد في القدس وفلسطين، وتحريرها من الغاصبٍ المحتل.

وبعد مقدمة مدحية مدح فيه الملك عبد العزيز آل سعود، مذكراً فيها بما عليهم من مسؤوليات تجاه وطنهم ودينهم والعالم الإسلامي، يبدأ الشاعر الشهيد بعدها وفي البيت التاسع يذكر القدس وأين صارت فيقول:

القدس أولى القبلتين عدا بها سبط اليهود

ويذكّر الملك أين أصبح ثالث الحرمين فيقول:

يا حامي الحرمين ثالثهما غدا رهن الوعود

ويحاول الشهيد أن يبعث الهمة، ويستنهض النخوة عند الملك نحو القدس لعله يعمل من أجل تحريرها من دنس اليهود فيقول:

يا وارثاً عرش الرسول اضرب بسيف ابن الوليد
وارفع دعامة جلق وانهض بأعباء الرشيد

ثم يعود الشاعر الشهيد ليوجه خطابه إلى أمة العرب والإسلام، لعله يحرك فيها مشاعر العزة والنصرة للأرض المغتصبة فيقول:

يا أمة العرب انهضي سيري لمجدك أو تبيدي
المجد نسج نضالنا عيدي نسائجها وزيدي

وبعدها يوجه الخطاب للملك عبد العزيز ويذكره بمكانة القدس ومسجدها:

إن ديس مسجدها تداس بكل واد أو صعيد

ويقول:

فالمسجد الأقصى عـلا محرابه دنس اليهـود

ويذكره أخيراً بأعراض نساء فلسطين ورجالها ودماء الشهداء، ويطلب منه غوثهم ونجدتهم:

فالعرض عرضك والنساء ورجالها ودم الشهيد

إن الشاعر الشهيد الذي عبر عن واقعه وواقع وطنه وقضيته أصدق تعبير، نجده في هذه القصيدة يستشرف المستقبل وينظر إليه بنظرات صائبة لأنها تصدر عن رجل صادق مجاهد، عاش تجربة الإيمان والجهاد، فها هو يحذر الملك أن يؤول المسجد الأقصى بيد اليهود، وقد تم ذلك فيما بعد:

يا حامي الحرميـن ثالثهما غدا رهن اليهود

فها هو المسجد الأقصى يرزح تحت نير عصابات الصهاينة، يدنسونه تارة، ويحاولون هدمه أحياناً، ويمنعون المصلين من دخوله أحياناً أخرى. وعندما يداس المسجد الأقصى ويدنس، فكأنما يداس كل العرب والمسلمين في كل مكان، وهذا ما تنبأ به الشاعر الشهيد:

إن ديس مسجدها تداس بكل واد أو صعيد

هذه بعض استشرافات وإشراقات المستقبل عند الشاعر الشهيد؛ ليقول في قصيدته قبل الختام حكمة يصور فيها الواقع العربي والإسلامي والمستقبل الذي سيؤول إليه:

والسيل إن بلغ انحدا را لا يقيد بالحدود

ثانياً: في ترسل الشهيد عبد القادر الحسيني

الرسالة فن نثري يلجأ إليه صاحبه عند الحاجة إليه، ليعبر عن موقف، أو ليسجل حدثاً، أو ليدون ملحوظات حياته، أو ليكتب بعض مشاعره وإحساساته، و»الترسل مصطلح أدبي، يقوم على ترجمة ما يدور في العقل من كلام حول مواضيع معينة على شكل رسائل، قد تكون رسمية، أو إخوانية، أو أدبية، ...» (14، ص: 11).

وكانت رسائل الشهيد في أنواعها المختلفة تعبر في أغلبها عن همومه نحو قضيته وقضية المسلمين جميعاً، ألا وهي قضية فلسطين والمحتل اليهودي، فلذلك كانت رسائله تأتي عبر نسمات الجهاد على أرض الوطن، يبعث بهمومه إلى القادة العرب، والمسؤولين ولو كانوا من ذوي القربى يستنجدهم، ويطلب منهم العون والمساعدة، أو يرسل بتوجيهاته العسكرية إلى جنوده بوصفه القائد العسكري لهم، وأحياناً وفي بعض اللحظات تداعب خياله ذكرى أهله، زوجته وأولاده فيبعث لهم برسائل الشوق والحنين، رغم ما فيه من قتال وحرب، بين أزيز الرصاص وقرع القنابل، ولكنه يبقى الأب المجاهد، الذي لا ينسى زوجته وأبناءه، من كلمات فيها حنين، وفيها وصايا ترسم لهم بعض ملامح طريق المستقبل.

وسأتناول ترسله من خلال المحاور الآتية:

أولاً: محور الرسائل العائلية:

- رسالته الأولى إلى زوجته وجيهة بتاريخ 1947/12/27م (1، ص: 461). أخبر فيها عن مدى الرعب الذي يشعر به اليهود منه كلما اقترب من أماكن تواجدهم وها هو يقول: «أنا الآن بقرية صوريف، وقربي مستعمرة اسمها كفار عتصيون، وقد جن جنون اليهود لما علموا أني أتيت إلى قربها ... وهم خائفون ومرتعبون...» ثم يطمئنها فيقول: «صحتي جيدة، والحمد لله، وسلاحي كثير، ورجالي أكثر، وعتادي طيب، كيف صحتك، وصحة الأولاد،

سلامي لكم جميعاً».

- وفي رسالة ثانية لزوجته، والمؤرخة بتاريخ 1948/1/4م (نفسه): يتحدث فيها الشهيد – بعد أن يطمئن زوجته عن صحته– عن جهاده فيقول: «لقد أصبحت القدس الآن الجبهة الأولى، شباب حي الشيخ جراح أسود، وكذلك شباب كل القدس، بارك الله فيهم، سنبدأ هجومنا الحقيقي بعد عشرة أيام على أكثر تقدير، وربما بدأنا قبل ذلك إذا وصلتنا الذخائر». وكان يستخدم منزله مخزناً للسلاح؛ فلذا يقول في آخر رسالته هذه: «يوجد بعض الذخيرة عندك في البيت، الرجاء إرسالها مع عبد الله».
- وتأتي رسالته الثالثة إلى زوجته بتاريخ 1948/2/12م (1، ص: 462) يطمئن أهله في هذه الرسالة عن الوضع العسكري فيقول: «حراسنا في الشيخ جراح الآن يحتلون سان هدريا وبيت إسرائيل، أعمالنا الحربية أثرت في اليهود أثراً عميقاً، كما أنها قوّت معنويات العرب. هذه الليلة سنقوم بعمل باهر وإن شاء الله ينجح، وسيكون له أثر عميق».
- وفي رسالته الرابعة لزوجته «أم موسى» والمؤرخة بتاريخ 1948/3/14م. (نفسه). يتحدث عن تعبه وسهره وجهاده وانشغاله فيقول: «إنني أشتغل الليل والنهار، ففي النهار أقوم بالأعمال الإدارية، وأثناء الليل أقوم بترتيب الخطط العسكرية...، لقد كان هذا الشهر مليئاً بالانتصارات والحوادث الجسام، وأرجو من الله أن تستمر إلى أن ننال النصر الأخير الحاسم، ونرفع عرق الزيتون الأخضر الذي رأيته بالمنام». فهو في هذه الرسالة يتحدث عن الواقع حيث الحوادث، والأعمال والخطط العسكرية، ويتحدث عن المستقبل بأن يتم النصر الأخير الحاسم ويرفع عرق الزيتون...
- أما رسالته الأخيرة فهي مؤرخة بتاريخ 1948/4/2م. أي قبل استشهاده بستة أيام. (1، 463) فقد جاءت كما يلي:

«أعزائي: هيفاء، وموسى، وفيصل، وغازي:

قبلات حارة لكم جميعاً، كيف أحوالكم، لماذا لا تكتبون لي، أرجو أن تكونوا متحابين وأولاداً طيبين، لا تعذبوا أمكم، كما أني أرجو أن تكونوا مجتهدين بدروسكم، وإذا نجحتم بالمدرسة فسأشتري لكم بنادق ومسدسات حقيقية لتقتلوا بها اليهود، وسأشتري لهيفاء أدوات إسعاف لتضمد جراح المجاهدين، سوف أراكم قريباً... الله يرضى عليكم»

أبوكم المحب

التوقيع

هذه الرسالة الأخيرة للشهيد قبل أن ترتقي روحه الطاهرة إلى بارئها، رسالة شوق وحنين ومحبة لأهله، يضمنها خططه المستقبلية لأولاده، كيف يريدهم؟ يريدهم أن يحملوا السلاح من أجل القتال والجهاد، وأن تشترك ابنته أيضاً في أعمال الجهاد التي تليق بها.

هذه رسائله لأهل بيته، تحدث من خلالها عن واقعه وجهاده، وعن حنينه وشوقه، وعن أمله ومستقبله ومستقبل أولاده الجهادي، هذه الكلمات الصادقة التي صدرت عن القائد العسكري المجاهد الشهيد في الأشهر والأيام الأخيرة من حياته الجهادية.

- ومن رسائله العائلية ما كتبه لعمه سماحة المفتي الحاج محمد أمين الحسيني، حيث كان مما قاله فيها: (1، 459)

«فقد سررت برسالتكم أعظم سرور، وكانت لي أعظم مشجع، تذكرون تقديركم لتحملنا مشاق

الغربة والسجون، وهذا التقدير هو وسام عظيم الشأن أناله من زعيمي وقائدي...» وفي آخرها يقول: «تطلبون مني أن أكتب إليكم بما أود أن أقول، ولي ما أقوله، إلا أني بانتظار أوامركم، وستجدونني دائماً ذلك الجندي الذي يموت في سبيل أمته، ومبادئه، دون أن يكلف الناس بسماع أنات نزاعه، وكذلك زوجتي، وسوف يكون كذلك أولادي إن شاء الله تعالى». هذه الرسالة مؤرخة بتاريخ 14 ربيع الأول من سنة 1365هـ، يبدو أنها كانت رداً على رسالة تلقاها من عمه سماحة المفتي، وفيها يظهر شكره وتقديره لعمه على هذه الرسالة، وأثرها في نفسه، وينهي هذه الرسالة بتعهده أن يكون ذلك الجندي الوفي لقائده ووطنه وأمته ومبادئه، وبنظرة للمستقبل يرى أن تكون زوجته وأفراد أسرته يسيرون على نفس الخط الجهادي الذي رسمه الشهيد عبد القادر الحسيني وسار عليه وطبقه على نفسه، فهو الشهيد المجاهد في ميادين القتال ضد الصهاينة المحتلين، والذي ما فتئ يقاتل ويجاهد حتى نال الشهادة التي طالما تمناها.

ثانياً: أما النوع الآخر من رسائله فهو عبارة عن بعض الرسائل العسكرية (1، 464-465) **ومنها:**

- الرسالة الأولى بعث بها الشهيد إلى المفتي محمد أمين الحسيني وهي مؤرخة بتاريخ 1947/12/24م ومما جاء فيها:

وصلت البلاد منذ يومين وبدأت اتصلاتي وقمت بما يأتي:

1. ترتيب حرس قوي للقيادة.
2. ترتيب قناصة حول المستعمرات.
3. تنظيم الدفاع في القدس والقرى وترتيب الحرس الليلي.

- الرسالة الثانية وتاريخها 1948/1/1 قال فيها:

تسلمنا خطابكم الأخير وسنعمل حسب توصياتكم القيمة.

ثم أوجز الأعمال اتي قام بها فقال:

1. أصبح دفاع القدس حسناً، وقد تحول في بعض الأحيان إلى هجوم قوي معاكس.
2. رأينا أن الهجوم من داخل القدس لا بد منه، لتقوية المعنويات ولإزالة بعض النقاط الخطرة، مثل مستشفى الأمراض العقلية في الشيخ جراح ومستشفى هداسا والجامعة العبرية، إذ يكمن الخطر فيها على الاتصال بالمدينة من الشمال والشرق.
3. سنقوم بهجوم هائل لا بد منه، حالما تصلنا الذخائر والمتفجرات، وسنتخذ قضاء رام الله مركزاً للحشد وعمليات الهجوم وقد انتقلنا إليه بالفعل.
4. نحن على اتصال بجميع المناطق ومع الأخ أبو علي (حسن سلامة) ونتخذ الإجراءات السريعة لتقوية الأسس التي أوجدناها في مختلف الأنحاء.
5. المعنويات قوية جداً، وخاصة في المناطق التي حدثت فيها اشتباكات بين العرب واليهود.

- الرسالة الثالثة مؤرخة في 1948/1/4م

«... إن اليهود ينقلون قواتهم من كل مكان إلى القدس وإن خسائر الهاجاناة جسيمة جداً، ونحن نحاول قطع جميع طرق المواصلات اليهودية المؤدية إلى القدس، وننتقل من مكان إلى آخر حسب الظروف، ونتصل بالرجال المسؤولين. الإعداد نظام ثابت. وتركيز المسؤوليات في مختلف المناطق وما زال هجومنا دفاعياً، لرفع المعنويات وإزالة بعض نقاط يهودية خطرة، لا بد من إزالتها لتسهيل مهمة الدفاع...»

- الرسالة الرابعة ردا على رسالة من سماحة المفتي: ومما جاء فيها:

1. ... قد أكملنا الأسس اللازمة لتنظيم قرية لفتا والقرى المجاورة لها، وقد عينا السيد يحيى حمودة مسؤولاً عنها.
2. نحن مهتمون جداً بمنطقة عين كارم وسننتقل إليها في القريب العاجل.
3. إن مسألة تأمين الدفاع عن القدس والقرى المحيطة بها هي شغلنا الشاغل وقد قطعنا شوطاً في هذا السبيل.
4. نحن يقظون وحذرون ونحاول الاستفادة من مجهود كل فرد في سبيل المصلحة العامة.
5. نحتاج إلى ميزانية لا تقل عن أربعة آلاف جنيه شهرياً. فالرجاء تزويدنا بها.
6. وصلنا عريف اللاسلكي وسيبدأ أعماله.

- الرسالة الخامسة وتاريخها 1948/1/12م ومما جاء فيها:

1. أنا مهتم جداً بدفاع القدس، وقد أصبح قوياً والقدس الآن ساحة حربية، وأرفق لكم ما كتبته الصحف اليوم، لتروا مقدار قوتنا الدفاعية والهجومية في حي الشيخ جراح وبيت صفافا وغيرها.
2. أرسلوا إلينا ما لا يقل عن ستة آلاف جنيه شهرياً، لنقوم بجميع الأعمال في القدس وغيرها ما عدا الشمال.
3. نحن بحاجة ماسة إلى السلاح وأكثر حاجة إلى الذخائر.

وقد جاءت رسائل الشهيد العسكرية ترجمة للواقع اليومي الذي يعيشه في حياته الجهادية، ففي رسالته الأولى يتحدث عن ترتيب القنص حول المستعمرات، وتنظيم الدفاع حول القدس والقرى، وفي رسالته الثانية يتحدث الشهيد عن خطط الهجوم عنده داخل القدس لإزالة بعض النقاط الخطرة، وبأن المعنويات عالية، وفي الثالثة يصف المجاهد الشهيد تنقلات اليهود وقواتهم إلى القدس، وأن خسائر الهاجاناة جسيمة جداً، ومثل ذلك في بقية الرسائل تقريباً، يصف الحال، ويخطط للواقع والمستقبل، وهمه الوحيد إنقاذ القدس وسائر فلسطين من اليهود المحتلين.

وبشكل عام لا نكاد نجد لمسات فنية أو بلاغية واضحة في رسائله، لعل ذلك بسبب ضيق الوقت الذي يعيشه المجاهد الشهيد، فلا وقت لديه للتجبير والتنميق، فالمهم عنده أن ينقل الواقع الذي يعيشه إلى أهله أو إلى جنده أو إلى المسؤولين، حتى يطمئنهم على سير الأمور عنده، أو يعبر عن مشاعر تفيض من إحساسه المرهف نحو أهله وأبنائه أحياناً. والأمر الآخر هو أن طبيعة هذا النوع من الرسائل العسكرية، يجب أن يكون بنفس الأسلوب الذي صاغه الشاعر الشهيد؛ لأنها هي بمثابة رسائل مختصرة، أو برقيات خاطفة، تنقل أخبار الجهاد والمعارك إلى الجهات المرسلة إليها.

حتى إننا في رسائله العائلية لا نجد التحبير والتنميق فيها، وذلك لنفس السبب؛ لأن الشاعر الشهيد رحمه الله في وضع الجندي المحارب، والقائد الساهر على جنوده، والمجاهد والمناضل، فلا وقت لديه لكتابة الرسائل الأدبية المحبرة،فالمهم عنده التحدث عن حاله وواقعه، وطمأنة الجهة المرسلة إليها رسائله.

الهوامش

1. محسن، عيسى خليل، 1986، فلسطين وابنها البار عبد القادر الحسيني، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، الأردن، ط1.
2. حوراني، فيصل، 2003، جذور الرفض الفلسطيني 1918 – 1948 م، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديموقراطية، رام الله.
3. الزركلي، خير الدين، 1980، الأعلام، ج 4، دار العلم للملايين، ط5.
4. قاسم، خيرية، 1990، الموسوعة الفلسطينية، م5، ط1، بيروت.
5. الحوت، بيان نويهض، 1986، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917 – 1948، دار الهدى للنشر والتوزيع، بيروت، ط3.
6. الأحمد، نجيب، 1985، فلسطين تأريخاً ونضالاً، دار الجليل للنشر والتوزيع، عمان، ط1.
7. ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، 1939، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ج2، (د.ط).
8. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، 1973، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ج2، د.ط.
9. العلي، فيصل حسين طحيمر، 1995، البلاغة الميسرة في المعاني والبيان والبديع، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.
10. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، 1988، البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، ط1.
11. بديوي، يوسف علي، (وزميله)، 1993، المستشار في القواعد والإعراب، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1.
12. عثمان، أسامة عبد المالك إبراهيم، 2001، ظواهر أسلوبية وفنية في سورة مريم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.
13. الجرجاني، عبد القاهر، (د.ت)، دلائل الإعجاز، صحح أصله الشيخ محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.
14. العلي، فيصل حسين طحيمر، 2001، فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.
15. المناصرة، عز الدين، 2007، علم الشعريات، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.

المصادر والمراجع

1. **ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، 1939، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ج2، (د.ط).**
2. **الأحمد، نجيب، 1985، فلسطين تأريخاً ونضالاً، دار الجليل للنشر والتوزيع، عمان، ط1.**
3. **بديوي، يوسف علي، (وزميله)، 1993، المستشار في القواعد والإعراب، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1.**
4. **الجرجاني، عبد القاهر، (د.ت)، دلائل الإعجاز، صحح أصله الشيخ محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.**
5. **الحوت، بيان نويهض، 1986، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917 – 1948، دار الهدى للنشر والتوزيع، بيروت، ط3.**
6. **حوراني، فيصل، 2003، جذور الرفض الفلسطيني 1918 – 1948 م، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديموقراطية، رام الله.**
7. **الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، 1988، البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، ط1.**
8. **الزركلي، خير الدين، 1980، الأعلام، ج 4، دار العلم للملايين، ط5.**
9. **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، 1973، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ج2، د.ط.**
10. **عثمان، أسامة عبد المالك إبراهيم، 2001، ظواهر أسلوبية وفنية في سورة مريم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.**
11. **العلي، فيصل حسين طحيمر، 1995، البلاغة الميسرة في المعاني والبيان والبديع، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.**
12. **العلي، فيصل حسين طحيمر، 2001، فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.**
13. **قاسم، خيرية، 1990، الموسوعة الفلسطينية، م5، ط1، بيروت.**
14. **محسن، عيسى خليل، 1986، فلسطين وابنها البار عبد القادر الحسيني، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، الأردن، ط1.**
15. **المناصرة، عز الدين، 2007، علم الشعريات، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.**